

التصوير – المرحلة الأولى - أنواع الإضاءة في التصوير

أنواع الإضاءة في التصوير تنقسم بشكل أساسي إلى طبيعية (الشمس، القمر) واصطناعية (فلاش، إضاءة استوديو) وتُصنّف تقنيات الإضاءة حسب المصدر والموقع والتأثير، مثل الإضاءة الثلاثية (أساسية، ملء، خلفية)، الجانبية (لإظهار التفاصيل والعيوب)، الخلفية (للسيلويت)، والمنتشرة/الناعمة (لإعطاء مظهر لطيف ودرامي).

حسب المصدر:

الإضاءة الطبيعية (Natural Lighting): ضوء الشمس أو القمر، مجاني ويمنح مظهراً طبيعياً، لكنه صعب التحكم به.

الإضاءة الاصطناعية (Artificial Lighting): فلاشات، أضواء استوديو، مصابيح. توفر تحكماً كاملاً في الشدة واللون والاتجاه، وتستخدم في الاستوديوهات بشكل شائع.

حسب التقنية والتطبيق (في الاستوديو أو التصوير الاحترافي)

الإضاءة الرئيسية (Key Light): المصدر الأساسي للضوء، يحدد شكل الموضوع الرئيسي.

إضاءة الملء (Fill Light): تخفف الظلال القوية الناتجة عن الإضاءة الرئيسية.

الإضاءة الخلفية (Back Light/Hair Light): تأتي من خلف الهدف، تفصل الهدف عن الخلفية وتضيف عمقاً (تستخدم في السيلويت).

الإضاءة الجانبية (Side Light): تسلط الضوء على جانب واحد من الموضوع، وتبرز التفاصيل أو تخفي العيوب.

إضاءة الفراشة (Butterfly/Beauty Light): تضيء الوجه من الأمام للأعلى، وتخلق ظلاً صغيراً تحت الأنف، مثالية للبورتريه الجمالي.

الإضاءة المنتشرة (Diffused Light): ضوء ناعم ومشتت (مثل يوم غائم أو عبر ناشر)، يقلل التباين والظلال القاسية.

الإضاءة الحادة (Hard Light): ضوء مباشر بقوة عالية، يخلق ظلالاً قوية وتفاصيل واضحة (مثل ضوء شمس الظهيرة أو إضاءة أساسية حادة).

حسب الاستخدام العام

الإضاءة العامة (Ambient): الإضاءة المحيطة في المكان.

الإضاءة المركزة (Task Lighting): إضاءة موجهة لغرض محدد (مثل العمل).

إضاءة الاستوديو الاحترافية: استخدام معدات متخصصة ومجموعة من الأضواء (مثل قاعدة الثلاث نقاط) لخلق تأثيرات معينة.

رامبرانت: من أين يأتي هذا الضوء؟

في عام 1642، رسم رامبرانت (1606 - 1669) "دورية الليل" (أو الخفارة الليلية)، إحدى أشهر لوحاته التي تجسد فرقة الكابتن كوك المكلفة حينها بحراسة أحد أحياء أمستردام، لكنها لم تنل إعجاب أعضائها، كما هاجمها النقاد إلى درجة جعلت صاحبها يعيد النظر في تجربته التي تعدّ محطة أساسية في عصر الباروك، افتنن صاحب "النزول من الصليب" بالأعمال التاريخية لدى عدد من الفنانين الإيطاليين، وفي مقدّمهم كارافاجيو، لكنه استطاع أن يطوّر أسلوبه عبر تصوير الأحداث والوقائع في مساحات كبيرة وتقديمها بأسلوب مسرحي دراماتيكي وإبراز تفاصيل توحى بالحركة والصوت في مشهد صامت، حتى الثاني من شباط/ فبراير المقبل، يتواصل في "غاليري دولويتش بكتشر" Dulwich Picture Gallery في لندن معرض "ضوء رامبرانت"، الذي افتتح في الرابع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، ويضمّ خمساً وثلاثين لوحة وعملاً طباعياً تُعرض بمناسبة مرور ثلاثمئة وخمسين عاماً على رحيل الفنان الهولندي.

" افتنن بالأعمال التاريخية لدى عدد من الفنانين الإيطاليين "

اهتمّ رامبرانت منذ بدايات مشواره بتقديم أعمال مغرقة بالتفاصيل الدينية والاستعارات المختلفة، وصعد اسمه في مسقط رأسه؛ مدينة ليدن، قبل أن ينتقل إلى أمستردام عام 1631، في مرحلة عاشت هولندا ازدهاراً اقتصادياً كبيراً مع تأسيس موانئها التي ربطت أوروبا بالعالم كلّها، واستقرّ رامبرانت في العاصمة بعد تحوّل الكنيسة في بلاده إلى البروتستانتية، ولم تعد تحفل برسم الأيقونات والتمائيل التي كان ينجزها الفنانون لقاء هبات جزيلة، وكان عليه أن يؤمّن دخله من خلال بيع لوحاته للناس مباشرة، حيث رسم العديد من الأعمال التي توصف بـ "التجارية" رغم أن المستقبل أثبت أنها تحتفظ بقيمة فنية عالية، وشهد عام 1639 نقطة تحوّل كبيرة مع تقديمه أبرز لوحاته التي حقّقت أعلى الإيرادات في عصره وصولاً إلى عام 1658، حيث تراجعت مكانته بشكل متسارع معلناً إفلاسه وبيع منزله الذي احتضن عقدين ذهبيين من حياته يهدف المعرض إلى تقديمها بشكل مفصل ومعتمق.

في تلك المرحلة، قدّم رامبرانت رؤية جديدة في التعامل مع الظل والنور بدلاً عن تلك التي كانت شائعة في الفن الإيطالي حيث الضوء يدخل من زاوية واحدة يضيء بقعة محدّدة بينما باقي اللوحة معتمّة، لكنه عالج لوحته بشيء من التعقيد موزّعاً بؤر الظلمة والإنارة، خاصة في انعكاسها على الوجوه التي أضفى عليها تعبيرات متعدّدة وغنية، ما ينتج حولها قراءات وانطباعات مختلفة.

يضمّ المعرض لوحة "امرأة تستحم في جدول" (1654) والتي رسم فيها امرأة وهي ترفع ثيابها محدّقة في الماء الذي يغمر ساقها، و"امرأة في السرير" (1647) التي تصوّر فتاة ضخمة تنهض من فراشها وتتنظر باتجاه الضوء، و"فتاة النافذة" (1645)، وهي لوحة تبرز تلك المشاعر المختلطة، فالفتاة تبدو أنها تبتسم بنظرة تأملية عميقة.

من أين أتى هذا الضوء؟ لا مصدر له في اللوحة لكنه يتوزّع تفاصيلها بإتقان دون أن يُحدث تبايناً أو تضاداً نافرماً، أو يفسد جمالها، بل إنه منح تلك اللقطة الثابتة الصامتة حركة من داخلها، بحيث لا يملّ المتلقّي من التحديق.